

صيغ الجمع في "أنشودة المطر": دراسة في البنية والدلالة

خالد قاسم بني دومي*

ملخص

تحتل "أنشودة المطر" مكانة مرموقة بين قصائد بدر شاكر السياب بخاصة، وقصائد شعر التفعيلة بعامة، فابتداءً بموضوعها الأثير، ومروراً بلغتها المتفردة، وموسيقاها العذبة، وتصويرها الفائق الجمال، وانتهاءً بخصائصها الفنية والأسلوبية العالية، التي تكشف عن شاعرية فذة، تقف هذه القصيدة كالعارض الهين بين روائع السياب، وأناشيده الخالدة. وفي هذه الورقة البحثية إضاءة على إحدى الظواهر الأسلوبية اللافتة في قصيدة "أنشودة المطر"؛ تلك هي: تعدد صيغ الجمع وأبنيتها الصرفية، التي تشمل: صيغ الجمع السالم، بنوعيه: المذكر، والمؤنث؛ وجمع التكسير، وأبنية اسم الجمع، واسم الجنس الجمعي، واسم الجنس الإفرادي، ويتشكل في مجموعها ظاهرة أفرط الشاعر في استخدامها، وتنعكس في مجموعها أبعاداً نفسية، كانت قد استقرت في وعي الشاعر، أو لادع، فجاء توظيفه لها دالاً ومعبراً، ووافياً بالغرض، ومناسباً للمقام. والبحث محاولة جادة لاستقصاء صيغ الجمع وأبنيتها في القصيدة، واستنطاق ذات الشاعر الذي يعيش حالتين شعوريتين متباينتين: حالة الإحساس بالظلم والقهر والحرمان، التي يقاسي آلامها وأحزانها هو وأبناء وطنه، وحالة الإحساس بالأمل والتفاؤل والاستبشار بمستقبل مشرق، ينعم فيه الجميع بخيرات الوطن وبركاته وثرواته الطبيعية، ضمن بيئة آمنة تسودها قيم العدل والمساواة والحرية. فجاءت صيغ الجمع تعبيراً صادقاً عن مضامين هاتين الحالتين الشعوريتين، وأبعادهما الإنسانية الزخبة.

الكلمات الدالة: صيغ الجمع، "أنشودة المطر"، البنية، الدلالة.

المقدمة

ليس ثم قصيدة من قصائد بدر شاكر السياب نالت من عناية النقاد والباحثين والدارسين واهتمامهم، مثلما نالت قصيدته الخالدة "أنشودة المطر"⁽¹⁾، بل إن نصاً شعرياً حديثاً لم يظفر من قراءات المحدثين يمثل ما ظفر به هذا النص، ومرد ذلك أمور عدة، أهمها اثنان (المومني، 1999): أولهما ما هو خارج النص، ويتمثل في منزلة السياب ضمن حركة الشعر الحر؛ فهو "أحد أكبر شعراء العصر الحديث، وأول من ثار على النمط الشعري القديم، ويتمثل ذلك في تغييره لهيكلية القصيدة وبنائها" (زعير، 1988)، وثانيهما ما هو داخل النص، ويتمثل في موقع القصيدة في شعر السياب خاصة، والشعر الحديث عامة؛ فهي "قصيدة مرموقة بين قصائد الشعر العربي الحديث" (ياغي، 1981).

ومن المعلوم أن وظيفة الشاعر، في تعاطيه النص الأدبي، تختلف عن وظيفة الناقد؛ فإذا كان الشاعر بناءً معمارياً بارعاً لألفاظ اللغة، وتراكيبها، وصورها، وأخيلتها، وأنماطها التعبيرية، فإن الناقد يملك بصرًا ثاقباً، وبصيرة نافذة، بمكانته من تشريح النص؛ وفك مغاليقه، واستكناه أسرارها، وإدراك خفاياها، من أجل أن يعيد بناءه ببناءً جديداً، مجرداً من الغموض والإبهام، ومنزهاً عن التعمية والإلغاز.

وينبغي للناقد، أو لمن يروم مقارنة النص؛ لتحقيق مبتغاه، من أن يمتلك ثقافة توازي ثقافة الشاعر، أو في الأقل تقترب من ثقافة

(1) من أبرز القراءات التي أفاد منها البحث: قراءة علي الشرع: قراءة في أنشودة المطر للسياب (1985)، وقراءة جمال زعير: أنشودة المطر: واقع وثورة (1988). وثمة قراءات أخرى للقصيدة، منها: قراءة إحسان عباس في كتابه بدر شاكر السياب: دراسة في حياته وشعره (1969)، وقراءة جابر عصفور "دراسة قصيدة أنشودة المطر للشاعر بدر شاكر السياب" المنشورة عام (1978) ضمن كتاب حركات التجديد في الأدب العربي"، وقراءة إلياس خوري في كتابه دراسات في نقد الشعر (1979)، وقراءة حسين خربوش: المطر ودلالته في القصيدة العربية الحديثة (1992)، وقراءة حسني محمود: أنشودة المطر: مقارنة الدلالة والفن (1995)، وقراءة نايف العجلوني: الأرض اليباب وأنشودة المطر (1996).

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن. تاريخ استلام البحث 2016/9/6، وتاريخ قبوله 2017/2/11.

الشاعر⁽²⁾ وليس يخفى أن شاعرنا متعدد الثقافات؛ فقد قرأ الأدب العربي، والأدب الروسي، وأدب اللغة الإنجليزية، كما درس القرآن الكريم، ودرس الإنجيل والتوراة، وقرأ شيئاً من التراث الفكري الماركسي، وبعض التراث الفكري الغربي، وكان كل ذلك يبدو في شعره بأشكال مختلفة، ومقادير متباينة (السيّاب، 1997).

وتتجلى اللغة في قصيدة "أنشودة المطر" في أعلى درجات كفاءتها ووعيها وطاقتها في التعبير والتدليل. وهي مبدعة في شكلها وحيويتها وتشكيلها وقوة تأثيرها (الديني، الرابط: www.alitthad.com/paper.php?name=News&file=article&sid=98954). ولعلّ ظاهرة التعبير بصيغ الجمع، على اختلاف أنواعه وأبنيته، من أبرز التجليات اللغوية في القصيدة؛ فقد أسرف الشاعر في استخدامها بطريقة لافتة، وكان في كل مرة ينتقي منها ما يناسب المقام، ويوفي بالمقصود، وهذا ما يروم البحث الوصول إليه، والكشف عنه. وقد يكون من المناسب أن أقسم البحث إلى إطارين: نظري، وتطبيقي. أما الإطار النظري فأخصّصه للحديث عن مفهوم الجمع، وعن الاسم المجموع وأقسامه، وعن اختلاف أوزان الجموع في العربية، وهو حديث صفته العامة الإيجاز؛ لسببين: الأول أن كتب الصّرف قد فصلت القول في هذه المباحث. والثاني أن البحث متّجه إلى التطبيق، وما هذه المقدمات إلّا إطار نظري لا بدّ منه لاكتمال أركان البحث، وتكامل عناصره الفنيّة. وفي الإطار النظري إشارة إلى المنهج الذي اتّبعت في البحث. وأما الإطار التطبيقي فأخصّصه للتطبيق بناء على المقدمات النظرية. وبيان ذلك كلّ في ما يأتي:

الإطار النظري:

ينقسم الاسم في العربية من حيث العدد إلى مفرد، ومثني، ومجموع؛ "فالمفرد: ما دلّ على واحد، كرجل وامرأة وقلم وكتاب، أو هو ما ليس مثني ولا مجموعاً، ولا ملحقاً بهما، ولا من الأسماء الخمسة المبيّنة في النحو. والمثني: ما دلّ على اثنين مطلقاً، بزيادة ألف ونون، أو ياء ونون؛ كرجلان وامرأتان، وكتابان وقلمان، أو رجلين وامرأتين وكتابين وقلمين، فليس منه كِلا، وكلتا، واثنان، واثنان، وزوج، وشفع؛ لأنّ دلالتها على الاثنين ليست بالزيادة" (الحملاني، د.ت). والجمع "صيغة مبنية للدلالة على العدد الزائد على الاثنين. والأصل فيه⁽³⁾ العطف كالتثنية، إلّا أنّهم لما عدلوا عن التكرار في التثنية طلباً للاختصار، كان ذلك في الجمع أولى" (الأنباري، 1995) وهو ينقسم إلى قسمين:

الأول جمع تصحيح، وهو يسمّى: "الجمع الصحيح، والجمع السالم؛ لأنّ لفظ الواحد صحّ وسلم فيه" (الحريري، 1982). وينقسم إلى قسمين: أولهما جمع المذكر السالم، ويسمّى (الجمع الذي على هجاءين) وهما: الواو والنون رفعا، والياء والنون نصباً وجزراً. ويسمّى أيضاً (الجمع الذي على حدّ المثني) أي: على طريقة المثني؛ (لأنّه أعرب بحرفين): الواو والياء (وسلم فيه بناء الواحد، وختم بنون زائدة تحذف للإضافة)، كما أنّ المثني أعرب بحرفين: الألف والياء، وسلم فيه بناء الواحد، وختم بنون زائدة تحذف للإضافة (الأزهري، 2000). وثانيهما جمع المؤنث السالم، ويسلم منه ما سلم في التثنية؛ لأنّ التثنية وجمع السلامة آخوان، فنقول في جمع (هند) علماً لمؤنث: هندات، بزيادة ألف وتاء، كما نقول في تثنيتهما: هندان، بزيادة ألف ونون، من غير حذف شيء منها، إلّا ما ختم بياء التانيث، فإنّ تاءه تحذف في الجمع بالألف والتاء؛ لأنّا يُجمع بين علامتي تانيث، وتسلم في التثنية؛ لفقد العلة المذكورة (الأزهري، 2000).

وعلى الرّغم ممّا قيل من أنّ "جمعي التصحيح – أعني جمع التانيث وجمع التذكير – كلّ ذلك للقلّة" (الزركشي، 1998)، إلّا أنّه في القصيدة مدار الحديث يفيد معنى الكثرة؛ بقرائن لفظية وعقلية وسياقية ليس هنا موضع بيانها، بل سينتقل بذلك الجانب التطبيقي. والثاني جمع تكسير، وهو الاسم الدالّ على أكثر من اثنين بصورة تغيير لصيغة واحد لفظاً أو تقديراً (الصّبّان، د.ت). والفرق بينه وبين جمع السلامة أنّ الأخير لا يُغيّر مفردّه إلّا بإلحاق آخره علامة الجمع، أمّا جمع التكسير فهو ما تغيّر بغير ذلك (ابن الحاجب، 2000)، وهو إنّما سمّي بذلك على التشبيه بتكسير الأنبياء؛ لأنّ تكسيرها إنّما هو إزالة التثام أجزائها، فلمّا أُزيل نظم الواحد وفُكّ تضدّه في هذا الجمع، سمّي جمع التكسير" (الأنباري، 1995). وهو على قسمين: جمع قلّة، وجمع كثرة (ابن عقيل، د.ت).

(2) تجدر الإشارة هنا إلى العبارة الافتتاحية في تحليل علي الشّرع لقصيدة أنشودة المطر، ومؤداها: "يستهلّ الشاعر نصّه بجملة شعرية مثقلة بإيحاءاتها، مثقلة بألوانها وصورها، جملة تضع القارئ إزاء عدد وافر من الاحتمالات الدلالية، جملة تستثير القارئ وتدفعه للتسلّح بكلّ خبراته الاستطلاعية، بحيث لا يوفّر مجالاً من مجالات معرفته: اللغوية، والتراثية، والجمالية، والطوقس الاجتماعية، والمواضعات المحليّة التي انبثق منها النّصّ الشعري، إلّا وقد استنارها". انظر: الشّرع، علي، قراءة في "أنشودة المطر" للسيّاب، مجلّة أبحاث اليرموك، المجلد 3، العدد 2، السنة 1985، ص 66. A.

(3) أورد المؤلّف في نصّه في هذا الموضع كلمة "أيضاً" لأنّه تحدّث قبل الجمع عن التثنية، وذكر أنّ أصل التثنية العطف، نحو: قام الزّيدان، والأصل فيه: قام زيد وزيد، إلّا أنّهم حذفوا أحدهما، وزادوا على الآخر زيادة دالّة على التثنية؛ طلباً للإيجاز والاختصار.

"وحدّ القليل ما بين الثلاثة إلى العشرة، وحدّ الكثير: ما جاوز ذلك" (الحريري، د.ت). وإنّ الناظر في كتب النحو والصرف يجد تبايناً بين العلماء في عدد جموع الكثرة، وفي أبنيتها؛ فصاحب "شذا العرف" يذكر أنّ أبنيتها ثلاثة وعشرون (الحملوي، د.ت)، وجاء في كتاب "ملحة الإعراب" ما نصّه: "وأما أبنية جمع الكثرة فكثيرة جداً، وذكر بعضهم أنّها تناهز أربعين بناءً" (الحريري، د.ت).

وأما أبنية جموع القلة فأربعة حدّدها ابن مالك في قوله (ابن عقيل، د.ت):

أَفْعَلَةُ أَفْعُلُ ثُمَّ فِعْلُهُ ثُمَّتْ أَفْعَالٌ - جُمُوعُ قَلَّةٍ

وقد يدلّ على معنى الجمعية سواها، ويسمّى اسم الجمع، أو اسم الجنس الجمعيّ، وعندهم اسم جنس إفراديّ، وهو ما يصدق على القليل والكثير (الحملوي، د.ت)، وهناك جمع الجمع.

أما اسم الجمع فهو "ما دلّ على آحاده دلالة الكلّ على أجزائه، والغالب أنّ لا واحد له من لفظه، كقوم ورهط وطائفة وجماعة، وقد يكون كركب وصخب" (الصّبّان، د.ت)، وهو يتضمّن معنى الجمع ولا واحد له من لفظه، إنّما واحده من معناه (جنهويتشي، 1995). وبعبارة أخرى، فإنّ اسم الجمع يُعامل معاملة المفرد باعتبار لفظه، ويُعامل معاملة الجمع باعتبار معناه (الغلاييني، 1994). وثمة أسماء للجمع في القرآن تعامل معاملة المفرد في سياق، ومعاملة الجمع في سياق آخر، نحو اسم الجمع "بَشَرٌ"؛ ففي قوله تعالى: "... ولن نؤمن لرفيقك حتّى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربّي هل كنتُ إلاّ بَشَرًا رسولًا" (سورة الإسراء: 93) عومل معاملة المفرد. وفي قوله تعالى: "ذلك بأنّه كانت تأتيهم رسلنا بالبينات فقالوا أبشّر يهدوننا" (سورة التّغابن: 6) عومل معاملة الجمع.

وأما اسم الجنس الجمعيّ فهو لفظ دالّ على الجمع. ويكون الفرق بينه وبين مفرده إمّا بالتاء، نحو: ثَمَرَةٌ وَثَمَرٌ، وإمّا بالياء، نحو: رومية وروم (ابن الحاجب، د.ت). وهو ما عبّر عنه سيبويه بقوله: "هذا باب ما كان واحداً يقع للجميع، ويكون واحده على بناءه من لفظه، إلاّ أنّه مؤنث تلحقه هاء التانيث ليتبين الواحد من الجميع". وفيه يقول: "فأما ما كان على ثلاثة أحرف وكان (فَعْلًا) فهو نحو طَلْحٍ والواحدة طَلْحَةٌ، وَثَمَرٍ والواحدة ثَمَرَةٌ، وَخَلٍ وَخَلَّةٌ، وَصَخْرٍ وَصَخْرَةٌ، فإذا أردت أدنى العدد جمعت الواحد بالتاء" (سيبويه، د.ت).

وأما اسم الجنس الإفراديّ فهو ما يصدق على القليل والكثير، كعسل ولبن وماء وتراب (الحملوي، د.ت). ومن أمثلته في القرآن: (ماء، ولبن، وخمر، وعسل) في قوله تعالى: "مثل الجنة التي وعد المتّقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذة للشّاربين وأنهار من عسل مصفّى" (سورة محمد: 15). والملاحظ أنّ أسماء الجنس الإفراديّ الواردة في هذه الآية الكريمة دالة على الكثرة.

ويبدو البحث مهتمّاً باسم الجمع، واسم الجنس الإفراديّ؛ بالرغم من أنّه ليس لهما واحد من لفظهما، لثلاثة أسباب: أوّلها أنّهما يتضمّنان معنى الجمع، وثانيها أنّ كتب الصرف تدرجهما في باب الجمع، وثالثها أنّهما يدلّان في هذه القصيدة على معنى الكثرة.

وأما جمع الجمع فهو كلّ ما جُمع جمعاً سالماً، أو جمع تكسير، "مثل: بيوتاتٍ ورجالاتٍ وكلاباتٍ وقطراتٍ، بضمّتين، ونحو: أكالبٍ وأصابعٍ، وأصافيرٍ وأزاهيرٍ وغرابين" (الغلاييني، 1994). "وجمع الجمع سماعيّ، فما ورد منه يُحفظ ولا يُقاس عليه" (الغلاييني، 1994). والقصيدة تخلو من هذا النوع من أنواع الجمع.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ المنهج الذي اتّبعت في الدراسة هو المنهج الوصفيّ التحليلي، وحرصت فيه على استقصاء صبيغ الجمع، وما يتضمّن معنى الجمع، وتصنيفها في جداول مستقلة، يشتمل كلّ جدول منها على الجمع، أو ما يتضمّن معناه، وبنيته (وزنه الصرفي)، وعدد مرّات ورودها في القصيدة، والسياق اللغويّ (النّصّ) الذي ورد فيه؛ مشفوعاً بدلالة الصيغة، في ضوء الدلالة اللغوية والدلالة السياقية (المقام)، مع ذكر القرينة/القرائن التي منحته تلك الدلالة.

ولعلّ من المفيد هنا أن أشير إلى أنّ ثمة أسباباً متعدّدة لاختلاف أوزان الجموع في لغتنا العربيّة؛ أهمّها أربعة:

أوّلها اختلاف لغات العرب (السّامريّ، 1981). قال سيبويه في (قوس) أنّ جمعه (أقواس) "وقد قال بعضهم في هذا الباب حين أراد بناء أدنى العدد (أفْعُل) فجاء به على الأصل، وذلك قليل. قالوا: قَوْسٌ وأقَوْسٌ. وقال الراجز: لِكُلِّ عَيْشٍ قَدْ لَبِثْتُ أَثْوَبًا. وقد كسروا الفعل في هذا الباب على (فَعْلَةٍ) كما فعلوا ذلك بالقَفْعِ والجَبّء، حين جاوزوا به أدنى العدد، وذلك قولهم: عَوْدٌ وَعَوْدَةٌ، وأَعْوَادٌ إذا أرادوا بناء أدنى العدد، وقالوا: رَوْجٌ وَأَزْوَاجٌ وَزَوْجَةٌ، وَثَوْرٌ وَأَثْوَارٌ وَثَوْرَةٌ، وبعضهم يقول: ثَبْرَةٌ" (سيبويه، د.ت).

وثانيها استعمال غير جمع لمعنى واحد؛ فالعربيّ قد يضطره شعر أو سجع إلى أن يستعمل أكثر من جمع لمعنى واحد، أو أن يأتي بلفظ على غير قياس؛ فإنّ لغة الشّعر لغة خاصّة (السّامريّ، 1981)، وإنّ العرب قد يُخرجون الكلم عن أوضاعها لغرض

الازدواج، فيقولون: "أتيتك بالغدايا والعشايا" مع أن فيه ارتكاباً لما يُخالف اللغة" (الزركشي، 1998).
وثالثها اختلاف المعنى؛ فقد يكون للكلمة الواحدة غير معنى، بأن تكون اللفظة مشتركة فيفرق بينها في الجمع، أو يكون معناها واحداً غير مشترك، ولكن جموعها تختص بمعانٍ مختلفة (السامرائي، 1981)، ف "يُجمع ربيع الكلأ أربعة، ويُجمع ربيع الجدول أربعة، ويُجمع خال الرجل أخوالاً، والخال الذي في الجسد خيلاً" (ابن السكيت، د.ت).
ورابعها القلة والكثرة (السامرائي، 1981)، وأمثلة القلة: (أفعل) كأفلس، و(أفعال) كأفراس، و(أفعله) كأسلحة، و(فعله) كفنية (ابن عقيل، د.ت)، وورد في كتاب إصلاح المنطق وزن آخر للقلة، هو (فعله)؛ فقد جاء فيه ما نصّه: "وتقول: هُم أَكَلَةُ رَأْسٍ، أي هم قليل، كقوم اجتمعوا على رأس يأكلونه" (ابن السكيت، د.ت).
وغني عن البيان أن السياق اللغوي لا يكفي وحده، دائماً، لإعطاء صيغة الجمع دلالتها على القلة أو الكثرة؛ فلا بد - والحالة هذه - من الإحاطة بسياق الحال، أو المقام، لحسم دلالة الصيغة. وشواهد ذلك في الشعر كثيرة يضيق عنها الحصر، أذكر منها شاهداً واحداً على سبيل المثال، تعدد صيغ الجمع في إحدى سيفيات أبي الطيب المتنبّي، التي يقول في مطلعها (المتنبّي، د.ت):

عَذْلُ الْعَوَالِ حَوْلَ قَلْبِ النَّائِيهِ وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سَوَادِيهِ
يَشْكُو الْمَلَامَ إِلَى اللَوَائِمِ حَرَةً وَيَصْدُ جَيْنَ يَلْمُنَ عَنْ بُرَحَائِهِ

فالمتنبّي يُكثر من استعمال صيغ الجمع في سيفيته هذه موظفاً إيّاها للتعبير عن الغرض العام المدعى في قصيدته، وهو كثرة لوم اللاتمين له في حبه المفرط لممدوحه؛ وإن كان يعبر بذلك عما يُكنّه في نفسه من عدم استحقاق ممدوحه لتلك المحبة المفرطة، أو ذلك الإخلاص الذي يبدو وكأنه نادم على بذله. فقد أثر المتنبّي صيغة الجمع (العوال - اللوائم) على المفرد، والغرض من ذلك إظهار كثرة لاثميه في حب ممدوحه مع ثباته على ذلك الحب، ويؤيد ذلك قوله بعده:

وَبِمُهْجَتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكِ الَّذِي أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَائِهِ

وقد يُظن أن ذلك ليس بمستحسن من المتنبّي؛ لأن اختياره الجمع في العوال، وتقريره أنه أسخط كل الناس في إرضائه ممدوحه، إنما هو مدح لنفسه لا لممدوحه؛ لأن معنى ذلك أن ممدوحه بغيض إلى الناس كافة؛ فتكثير العوال واللاتمين له في ذلك دال على عدم استحقاق ممدوحه لمحبة إيّاه لدى هؤلاء اللاتمين وهم كل الناس؛ وكفى بذلك ذمّاً له (هنداوي، 2001).
وتطالعنا كتب التراث اللغوي والأدبي⁽⁴⁾ بوجود مظاهر لنقد الشعر في العصر الجاهلي؛ ومن ذلك ما أورده من خبر النابغة الذبياني الذي عاب على حسان بن ثابت قوله (حسان بن ثابت، 1994):

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَفْطُرْنَ مِنْ تَجْدَةٍ دَمًا

إذ رأى أنه قلل جفانه وأسيافه، ولو قال: الجفان، والسيف، لكان أنسب لمقام الفخر. "قال الصولي: فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة، وديباجة شعره؛ قال له: أقلت أسيافك، لأنه قال: "وأسيافنا" وأسياف جمع لأدنى العدد، والكثير سيف، والجفان لأدنى العدد والكثير جفان" (المرزباني، د.ت)، وهذا خلاف ما ذهب إليه سيبويه، الذي يرى أن حسان بن ثابت لم يُرد أدنى العدد، ودليله أن العرب قد يجمعون بالناء، وهم يرددون الكثير (سيبويه، د.ت)، واستشهد بهذا البيت.

وأورد الزركشي هذا البيت للنابغة شاهداً على مجيء جمع القلة مراداً به الكثرة، ثم قال: "وطعن الفارسي في هذه الحكاية لوجود جمع القلة موضع الكثرة فيما له جمع كثرة، وفيما لا جمع له في كلامهم"، ثم أكد هذه الفكرة بمثال من القرآن فقال: "ومن المُشْكَل قوله تعالى: 'فيضاعفه له أضعافاً كثيرة' (سورة البقرة: 245) فإن 'أضعافاً' جمع قلة، فكيف جاء بعده كثرة؟ والجواب أن جمع القلة يستعمل مراداً به الكثرة، وهذا منه". (الزركشي: 1998). ثم ذكر تنبيهين، سأذكر الأول منهما؛ لأنه الذي يعنينا في هذا السياق، وفيه يقول: "إنما يُسأل عن حكمة ذلك حيث كان له جمع كثرة، فإن لم يكن فلا، كقوله: 'أياماً معدودات' (سورة البقرة: 184)؛ فإن 'أياماً' أفعال مع أنها ثلاثون، لكن ليس لليوم جمع غيره" (الزركشي: 1998).

(4) انظر، على سبيل المثال، في: الكتاب 578/3، شرح المفصل 10/5، الأغاني 6/11، خزنة الأدب 107/8. وقد ذكر البغدادي هذا البيت في الشاهد الرابع والتسعين بعد الخمسمائة، وعرض آراء عدد من اللغويين فيه، مثل: سيبويه، الأعلام الشنتمري، المرزباني، الصولي، الأصفهاني، أسامة بن منقذ. انظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر (1998)، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: محمد نبيل طريفي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، ج 8، الصفحات 107-115.

الإطار التطبيقي⁽⁵⁾:

وتتعدّد صبيغ الجمع في "أنشودة المطر" وأبنيتها الصّرفيّة، لتشمل صبيغ جمع التّصحیح، أو الجمع السّالم، بنوعيه: المذكّر، والمؤنّث، وجمع التّكسير. ونجد في القصيدة أبنية لاسم الجمع، واسم الجنس الجمعيّ، واسم الجنس الإفراديّ، كما نجد ضمائر خاصّة بالجمع، هي: ضمير جماعة المتكلّمين "نا"، ونون المضارعة الدالّة على جماعة المتكلّمين، وواو الجماعة. وفي ما يأتي دراسة وتحليل لصبيغ الجمع، ولما يتضمّن معنى الجمع، في "أنشودة المطر".

أولاً: صبيغ الجمع السّالم:

وردت صيغتا جمع المذكّر السّالم، وجمع المؤنّث السّالم، في قصيدة "أنشودة المطر" على نحو محدود؛ فالصيغة الأولى وردت ثلاث مرّات؛ وذلك على النحو الآتي:

الجمع	بنيته	تكراره	سياقه	دلالاته
مُنشِدِين	مُفْعِلِين	1	وأسمع القرى تَنُنُّ والمهاجرين يصارعون بالمجاديف وبالقلوع عواصف الخليج والرّعود مُنْشِدِين: مطر... مطر... مطر...	دلّت البنية على الكثرة؛ وهذه الكثرة قد تكون في تعدّد أفراد الجمع، أو قد تكون بما يصدر من أفراد هذا الجمع من تشديد. كما أنّ ثمة قرائن لفظيّة عديدة اشتملت عليها الجملة الشّعريّة، وتضافرت لتأكيد معنى الكثرة في "منشدين"، وتمثّلها الجموع: (القرى، المهاجرين، المجاديف، القلوع، عواصف، الرّعود) فالبنية تصوّر حال المهاجرين من وطنهم العراق خوفاً من وطأة الظّالمين المستبدين، وهم يردّدون كلمة "مطر" التي ترمز إلى الثّورة.
المُهاجِرِين	المُفَاعِلِين	2	(وأسمع القرى تَنُنُّ والمهاجرين)، (وما تبقي من عظام بانسي فقير من المهاجرين ظلّ يشرب الرّدى)	دلّت البنية في كلا الموضعين على الكثرة؛ بقرينة عطفها على القرى، التي تننّ من شدّة الظلم الذي يعانيه سكّانها، في الموضع الأوّل، وبالقرينة العقلية التي تؤكّد كثرة من هاجر من فقراء العراق بحراً، ووقع فريسة للأسماك والكائنات البحريّة، في الموضع الثاني.

أمّا الصّيغة الثانية، أعني صيغة جمع المؤنّث السّالم، فوردت في موضع واحد في القصيدة، وجاءت على صورة المؤنّث بالتاء؛ وهي: (هَبَاتٌ)، بزنة (عِلَاتٌ) جمع (عِلّة)، كما يظهر في الجدول الآتي:

الجمع	بنيته	تكراره	سياقه	دلالاته
هَبَاتِهِ	عِلَاتِهِ	1	وينثر الخليج من هَبَاتِهِ الكُثَارُ على الرّمال رغوهُ الأجاج والمحارُ	دلّت البنية على الكثرة؛ بثلاث قرائن: إحداها عقلية، هي أنّ فاعل الهبة هو الخليج؛ بسعته وامتداده وعمقه، والثانية والثالثة لفظيتان، وهما: الفعل "ينثر" الذي يحمل معنى الكثرة، ولفظة "الكُثَار" التي يدلّ لفظها على معناها، والواقعة نعتاً للجمع "هباته".

ثانياً: صبيغ جمع التّكسير:

ورد جمع التّكسير بنوعيه: جمع الكثرة، وجمع القلّة، في اثنتين وخمسين موضعاً في القصيدة؛ أربعة وأربعون منها جموع كثرة، والثمانية الباقية جموع قلّة، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: جموع الكثرة:

وردت جموع الكثرة، بتنوّع صيغها، واختلاف مبانيها، وتكرار استخدامها، في أربعة وأربعين موضعاً في القصيدة، وهي جميعاً

(5) لم أورد نصّ القصيدة هنا؛ لأنّها معروفة، وللاطلاع على نصّها انظر: ديوان بدر شاكر السّياب (1971)، بيروت، دار العودة، ص 481-474.

تدلّ على معنى الكثرة بقرينة الصيغة. وعلى الرغم من أنّ قرينة الصيغة كافية للدلالة على الكثرة، إلّا أنّي عزّزتها بقرائن لفظية وعقلية وسياقية؛ تعميقاً لدلالة الكثرة. وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

الجمع	بنيته	تكراره	سياقه	دلالاته
قُرَى	فُعْل	1	(وأسمع القرى تثنّ)	دلّت البنية على الكثرة، بقرينة الصيغة، وبقرينتين أخريين: الأولى عقلية توحى بكثرة القرى التي عانت الظلم والقهر والطغيان، ولم تملك أمام هذا الواقع المرير سوى الأئین والألم، والثانية لفظية تمثلها لفظة "القرى" التي فيها مجاز مرسل علاقته الحالية. فقد جعل الشاعر القرى تثنّ، وليس أهلها، وهذا من باب المبالغة والتكثير.
عُراة	فُعْلَة	2	(وكلّ دمة من الجياح والعُراة) مرتّين	دلّت البنية في كلا الموضعين على الكثرة، بقرينة الصيغة، وبقرينة عقلية؛ فهي تصوّر حالة البؤس والفقر التي كانت عامّة الشعب تكابدها؛ فلا لباس يستر عورات هؤلاء. وما من شكّ في أنّ تكرار هذه الجملة الشعرية مرتّين قد منح لفظتي الجمع: "الجياح، والعُراة" مزيداً من تأكيد معنى المبالغة والكثرة.
موتى	فَعْلَى	1	(كالموتى هو المطر)	دلّت البنية هنا على الكثرة، بقرينة الصيغة، وبقرينة لفظية تمثلها علاقة التشبيه بالكاف؛ فقد شبه المطر في غزارته وتدفقه بالموتى. وليس يخفى معنى الكثرة في علاقة التشبيه هذه.
غِلال	فِعَال	1	(وينثر الغِلال فيه موسم الحصاد)	دلّت البنية على الكثرة، بقرينة الصيغة، وبقرينتين أخريين: الأولى عقلية، تؤكدُها حال العراق الاقتصادية في تلك الآونة، بما فيها من انتعاش في الزراعة والموارد الطبيعية، والثانية لفظية تمثلها لفظة "ينثر" وفاعلها "موسم الحصاد"، بما يحملانه من معاني البركة والخير الوفير.
شباك	فِعَال	1	(يجمع الشباك)	دلّت البنية على الكثرة، بقرينة الصيغة، وبقرينة صيغة المضارع في الفعل "يجمع" التي تدلّ على التجدّد والاستمرار؛ فهذا الصياد الحزين، الذي يمثل نموذجاً لآلاف الصيادين البائسين، راح يجمع شباكه بعد أن حال المطر الغزير بينه وبين الصيد، وحرمه من فرصة الفوز بما يسدّ جوعه. بالإضافة إلى ما تحمله لفظة "يجمع" من دلالة على معنى الكثرة.
جِياح	فِعَال	3	(كالدّم المراق، كالجِياح)، (وكلّ دمة من الجياح) مرتّين	دلّت البنية في المواضع الثلاثة على الكثرة، بقرينة الصيغة، وبقرائن لفظية وسياقية؛ ففي الموضع الأوّل شبه المطر في غزارته بالدّم المراق، وبالجياح، وهذا يوحي بكثرتهم، وفي الموضع الذي تكرّر مرتّين يبدو معنى الكثرة واضحاً في العبارة؛ فما أكثر الجياح الذين لا يملكون وسيلة للتعبير عن جوعهم سوى الدّموع! وقد عبّر الشاعر عن هذا المعنى بعبارتين صريحتين في قصيدته؛ الأولى: "وفي العراق جوع"، والثانية: "ما مرّ عام والعراق ليس فيه جوع".
جِبَال	فِعَال	1	(في السّهول والجبال)	دلّت البنية على الكثرة بقرينة الصيغة، وبقرينة عقلية؛ ويعرّز هذا أنّ السّهول والجبال هي الأماكن التي ستؤوي قوى الثّورة، وبما أنّ قوى الظلم والاستبداد والطغيان كبيرة، فذلك يستدعي أن تكون قوى الثّورة مكافئة لها، أو متفوّقة عليها في القوة.

الجمع	بنيته	تكراره	سياقه	دلالاته
رجال	فِعال	1	(فضّ عنها ختمها الرّجال)	دلّت البنية على الكثرة بقرينة الصّيغة، وبقريّة عقليّة؛ فهذا الجمع ورد في سياق شبّهت فيه السيطرة على خيرات العراق بالختم الذي يُزيله الرّجال، ولا شك أنّ إزالة الختم تتطلّب رجالاً كثيرين أقوىاء أشداء.
عظام	فِعال	1	(وما تبقي من عظام بائس غريق)	تدلّ بنية الجمع "عظام" في الأصل على الكثرة؛ غير أنّها تحتل المعنيين هنا؛ فمعنى القلّة بقرينة قوله: "ما تبقي"، وهو قليل على أيّة حال، بعدما أتت الأسماك على أكثره؛ ومعنى الكثرة من حيث إنّ هذا البائس الغريق، الذي لفظت الأمواج ما تبقي من عظامه، إن هو إلّا واحد من عشرات البائسين الغرقى.
صغار	فِعال	1	(ومنذ أن كنّا صغاراً)	دلّت البنية على الكثرة، بقرينة الصّيغة، وبقريّة عقليّة؛ ويؤكد هذا أنّ الشّاعر يعبر عن نفسه وعن أقرانه من أبناء العراق، الذين كانوا، وهم صغار، يشهدون كلّ شتاء هطول المطر، وما يترتب على ذلك من جوع؛ قصداً منه إلى إبراز عنصر المفارقة في النصّ. وتكمن المفارقة هنا في أنّ العلاقة بين السبب والنتيجة غير منطقية؛ فالأصل أن يكون المطر مصدراً للخير والنماء والشبع والانتعاش، ولكنّ النتيجة المترتبة على هطول المطر هي الجوع! وقد أكّد الشّاعر هذا المعنى بقوله في مقام آخر: "مطر... مطر... وفي العراق جوع".
رفاق	فِعال	1	(وإن تهامس الرّفاق)	دلّت البنية على الكثرة بقرينة الصّيغة، وبقريّة عقليّة مؤداها أنّ الشّاعر كان يحيط به بعد موت أمّه الكثير من الرّفاق، الذين يتهامون بالحقيقة المؤلمة، بعيداً عن أسماعه، في الوقت الذي كان فيه آخرون يُسرّون عنه بقولهم: "بعد غد تعود"!
ثقال	فِعال	1	(تسحّ ما تسحّ من دموعها الثقال)	دلّت البنية على الكثرة بقرينة الصّيغة، وبقريّتين لفظيتين: الأولى لفظة "تسحّ" ومعناها: تصبّ صباً متتابعاً، والثانية الموصوف "دموعها"؛ إذ شبّه الشاعر الغيوم المحمّلة بحبات المطر بإنسان يذرف الدّمع الغزير، وليس يخفى ما في الصّورتين من دلالة على معنى الكثرة.
مياه	فِعال	1	(ويلعن المياه والقدر)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة لفظيّة، تتمثّل في عطف الجملة التي وقعت فيها على جملة: "يجمع الشّباك"، وأخرى عقليّة مؤداها أنّ المياه التي ألقي فيها الصّياد شبّاكه، إن هي إلّا تجمّع لقطرات الماء التي نزلت من السماء في صورة مطر غزير.
رياح	فِعال	1	(لم تترك الرّياح من ثمود)	دلّت البنية على الكثرة، بقرينة الصّيغة، وبقريّة عقليّة تتمثّل في اختلاف الجهات التي تهبّ منها وفي الأثر الذي نتج عنها، ألا وهو عدم بقاء أثر لثمود. ويبدو أنّ البعد الأسطوريّ الذي يغلف هذا الموقف، وما يتضمّنه من عناصر، قد أعطى لفظة "الرياح" دلالة القوّة والشّدة والكثرة، وكأني بالشّاعر يتخذ من الرياح أداة للتغيير.

الجمع	بنية	تكراره	سياقه	دلالاته
كُروم	فُعول	2	(تورقُ الكُروم)، (في عرائش الكُروم)	دلّت البنية في كلا الموضعين على الكثرة، بقرينة الصيغة، وبقريئة "تورق" في الموضع الأول، بما تحمله من معاني الخصب والنماء، و"عرائش" في الموضع الثاني، بما تحمله من معاني الامتداد والاتساع.
بروق	فُعول	2	(تمسحُ البروق سواحلَ العراق بالنجوم والمحار)، (ويخزنُ البروق في السهول والجبال)	دلّت البنية في كلا الموضعين على الكثرة، بقرينة الصيغة، وبقريئة الفعل "تمسح" ومفعوله: "سواحل العراق" في الموضع الأول، وبما تضيئه تلك البروق من مساحات شاسعة في آفاق العراق، وبقريئة الفعل "يخزن" الذي يستعمل للشئ الثمين وكثير العدد، والمكان الذي اختاره الشاعر ليخزن فيه العراق تلك البروق: "السهول والجبال" في الموضع الثاني. على أن دلالة البروق في الموضع الأول حقيقة، يشير فيها إلى الخير العميم الذي يكتنف أرض العراق، والاستبشار بشروق فجر الحرية. وفي الموضع الثاني مجازية، يرمز بها إلى قوى الثورة، بقرينة قوله بعد ذلك: "حتى إذا ما فضّ عنها ختمها الرجال لم تترك الرياح من ثمود في الواد من أثر".
رُعود	فُعول	2	(أكاد أسمع العراق يذخر الرعود)، (يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع عواصف الخليج والرعود)	دلّت البنية في كلا الموضعين على الكثرة، بقرينة الصيغة، وبقريئة الفعل "يذخر" الذي يكون للأمر الثمين، والشئ الكثير، والمكانان اللذان اختارهما الشاعر ليذخر فيه العراق تلك الرعود (والبروق) هما "السهول والجبال" في الموضع الأول، الذي جاءت فيه دلالة "الرعود" مجازية؛ لأنّ الرعود لا تُذخر على وجه الحقيقة، وبقريئة جموع الكثرة التي تزخر بها العبارة في الموضع الثاني، الذي جاءت فيه دلالة "الرعود" حقيقة.
سُهول	فُعول	1	(ويخزن البروق في السهول والجبال)	دلّت البنية على الكثرة بقرينة الصيغة، وبقرائن لفظية ثلاث، يمثلها الفعل "يخزن"، وفاعله: "البروق"، والمعطوف عليه: "الجبال". وبقريئة عقلية مؤداها أن قوى الثورة التي رمز إليها الشاعر بلفظ "البروق" في هذه الجملة الشعرية، تنتشر عبر مساحات شاسعة من أرض العراق.
حُقُول	فُعول	1	(رحى تدور في الحقول)	دلّت البنية على الكثرة بقرينة الصيغة، وبقريئة عقلية مؤداها أن حقول العراق كثيرة، وخيرات وفيرة، لكنها تؤول إلى الطغاة المستبدين؛ أما عامة الشعب، التي عبر عنهم الشاعر بقوله: "بشر" فلا نصيب لهم من هذه الخيرات الوفيرة سوى "الشؤان والحجر"!

الجمع	بنيته	تكراره	سياقه	دلالاته
نُجوم	فُعول	2	(كأنما تنبض في غوريهما النَّجوم)، (وعبر أمواج الخليج تمسح البروق سواحل العراق بالنَّجوم والمحار)	دلّت البنية في كلا الموضعين على الكثرة، بقرينة الصَّيْغَة، وبقرائن لفظية تعبّر عنها الصُّور الفتيّة في هاتين الجملتين الشعريتين؛ ففي الموضع الأول صورتان متطابقتان: صورة الأضواء، التي تبدو كالأقمار، تتراقص على صفحة نهر يهزّ مياهه المجذاف، وصورة النُّجوم المتألّئة في أعماق العينين تنبض بالحياة؛ وليس يخفى أنّ صبيغ جموع الكثرة قد أسهمت في إظهار جماليّات التصوير في المشهدين، وإبراز عنصر الاتّساق بين الصّورتين. وفي الموضع الثّاني تبدو النجوم خلف المواقع التي تلمع منها البروق متألّئة في الأفاق، بما تحمله من معاني النور والضياء، وما ترمز إليه من قيم الحرّيّة والنّصر.
غُيوم	فُعول	2	(كأنّ أقواس السحاب تشربُ الغيوم)، (والغيوم ما تزال تسحّ)	دلّت البنية على الكثرة، بقرينة الصَّيْغَة، وبقريّة الفعل "تشرب" وفاعله المستتر العائد إلى "أقواس السحاب" في الموضع الأوّل؛ فأقواس السحاب، التي صوّرها الشاعر في صورة الآدميين، تشرب الغيوم، ثمّ تتحوّل إلى قطرات ماء تنوب تدريجياً في ذلك المطر الساقط من السماء. وقرينة الفعل "تسحّ"، وقرينة "دموعها النّقال" في الموضع الثّاني.
دُموع	فُعول	2	(تسحّ ما تسحّ من دموعها النّقال)، (وكم ذرفنا ليلة الرّحيل من دموع)	دلّت البنية في كلا الموضعين على الكثرة، بقرينة الصَّيْغَة، وبقريّة الفعل "تسحّ"، والنّعت "النّقال" في الموضع الأوّل، وبقريّة "ذرفنا" و"الرّحيل" في الموضع الثّاني. على أنّ دلالة الدُموع مختلفة؛ فدلالاتها في الموضع الأوّل مجازيّة؛ إذ تعني المطر الذي يحمل تباشير الخير، ولكّنه يحمل في الوقت نفسه الألم والمُعاناة. ودلالاتها في الموضع الثّاني حقيقيّة، تدلّ على الحزن والألم بسبب الرّحيل.
فُلُوع	فُعول	1	(يصارعون بالمجاديف وبالفُلُوع)	دلّت البنية على الكثرة، بقرينة الصَّيْغَة، وبقريّة "المهاجرين" وواو الجماعة في الفعل "يصارعون" فهؤلاء المهاجرون من وطنهم طلباً للرزق، أو خوفاً من الظلم؛ وما أكثرهم! يصارعون الأمواج العاتية بمجاديفهم وصواري قواربهم، مؤمّلين أن يصلوا إلى شاطئ الأمان، وهم ينشدون للمطر؛ رمز الخلاص.
لُحود	فُعول	1	(تنامُ نومة اللُحود)	دلّت البنية على الكثرة، بقرينة الصَّيْغَة، وبقريّة عقليّة؛ فالموت يلفّ المشهد بكلّ تفاصيله، وما هو الشاعر يمزج همّه الشّخصي بهمّ الجماعة، ويومئ إلى فجيعته بموت أمّه، التي ترقد رقدة القبور، كما يرقد كثير من الأموات.
غُربان	فِعْلان	1	(لتشبع الغُربان)	دلّت البنية على الكثرة، بقرينة الصَّيْغَة، وبقريتين: إحداها عقليّة، مؤدّاها أنّ الغربان تعيش في جماعات، والثّانية لفظيّة، تتمثّل في العطف عليها بلفظ "الجراد" بكثرته الكاثرة، وبما يرمز إليه من نهم وجشع. واستعملها الشّاعر استعمالاً مجازياً؛ ورمز بها إلى الطّامعين والمستغلّين الذين ينهبون خيرات العراق.
سواحل	فواعل	1	(تمسح البروق سواحل العراق)	دلّت البنية على الكثرة؛ بالقرائن التي ذُكرت عند الحديث عن دلالة الجمع في لفظة "البروق".

الجمع	بنية	تكراره	سياقه	دلالاته
عواصف	فواعل	1	(بصارعون بالمجاذيف وبالقلوع عواصف الخليج والرعود)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة جموع الكثرة في العبارة، واختلفها معها. ودلالة العواصف هنا حقيقية.
عرائش	فعائل	1	(في عرائش الكروم)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة لفظية هي إضافتها إلى "الكروم" وأخرى عقلية تصدّقها بيئة الشاعر، بما فيها من كروم، يجري الأطفال في عرائشها ضاحكين منطلقين مستبشرين.
مجاديف	مفاعيل	1	(بصارعون بالمجاذيف وبالقلوع عواصف الخليج والرعود)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرائن لفظية كثيرة تتضمنها العبارة، مثل صيغ جمع الكثرة، وواو الجماعة في الفعل "بصارعون". وقد استعمل الشاعر هذه المادة اللغوية بالإفراد في موضع آخر في القصيدة، هو قوله: "يرجّه المجذاف وهنا ساعة السحر".
مزاريب	مفاعيل	1	(وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة لفظية هي "انهمر"، التي تعني: سال بقوة، أو انصب وانسكب؛ وهي معانٍ تتناسب ورؤية الشاعر، التي تتخذ من المطر رمزاً لتغيير الوضع القائم في العراق.
عصافير	فعاليل	1	(ودغدغت عصافير على الشجر أنشودة المطر)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة لفظية هي "الشجر" وأخرى عقلية تنبئ أن أسر اب العصافير تأوي، مع انهيار المطر بغزارة، إلى الشجر، فستنيرها قطرات المطر، فتخرج عن صمتها، وترزق استنشاداً بنزول المطر.
نخيل	فَعِيل	2	(عيناك غابتا نخيل)، (أكاد أسمع النخيل يشرب المطر)	دلّت البنية في كلا الموضعين على الكثرة بقرينة الصيغة، وبقرينة لفظية تمثلها لفظة "غابتا" في الموضع الأول؛ ومعلوم أن الغابة مساحة شاسعة تكتنفها الأشجار الكثيفة من كل جهة. وبقرينة عقلية في الموضعين: الأول والثاني هي أن النخلة هوية العراق، وعنوان شموخه وحضارته العريقة.
عبيد	فَعِيل	2	(وكلّ قطرة تراق من دم العبيد مرتين)	دلّت البنية على الكثرة بقرينة الصيغة، وبقرينة لفظية، تمثلها لفظتا "الجياح" و"الغراء" في الجملة السابقة، وأخرى عقلية تنبئ عن كثرة المستعبدين الذين تراق دماؤهم ظمأً وجوراً في العراق في تلك الآونة.
كُتَار	فُعال	1	(وينثر الخليج من هباته الكُتَار)	لفظة "الكُتَار" التي وقعت صفة، تعبّر عن معنى الكثرة؛ بدلالة الصيغة، وبالذلالة اللغوية.

يلاحظ أن من بين جموع الكثرة هذه ستة ألفاظ تعدّ من صيغ منتهى الجموع، اثنان منها بوزن (فواعل) هما: سواحل، عواصف، وواحد بوزن (فعائل) هو: عرائش، واثنان بوزن (مفاعيل) هما: مزاريب، مجاديف، وواحد بوزن (فعاليل) هو: عصافير. ويغلب على ظني أن هذه الصيغ من الجمع كانت، بالإضافة إلى دلالتها على الكثرة، مظهراً من مظاهر المستوى الجمالي الذي اقتضته الضرورة البنائية للقصيدة ليظهر مع باقي صيغ الجمع بصورة متكاملة لغة وإيقاعاً ودلالة.

ثانياً: جموع الفعلة:

وردت جموع الفعلة، بتنوّع صيغها، واختلاف مبانيها، وتكرار استخدامها، في ثمانية مواضع في القصيدة، هي على النحو الآتي:

الجمع	بنيته	تكراره	سياقه	دلالاته
أضواء	أفعال	1	(وترقص الأضواء)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة تعريفها بـ (ال)، وبقرينة عطف الجملة، التي ورد فيها هذا الجمع، على جملة "تورق الكروم"، وعلاقة التشبيه التي عقدها الشاعر بين الأضواء والأقمار.
أقمار	أفعال	1	(وترقص الأضواء كالأقمار في نهر)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة تعريفها بـ (ال)، وبقرينة تشبيه الأضواء بها، وبقرينة أنّ القمر ينعكس في الماء المتموج أقماراً كثيرة.
أمواج	أفعال	1	(وعبر أمواج الخليج)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة تعريفها بالإضافة، وبقرينة صيغ الجمع العديدة في المقطع الشعري الذي ورد فيه هذا الجمع، وهي: "البروق، سواحل، النجوم، اللؤلؤ، المحار"، وهذه الأخيرة كرّرها الشاعر في هذا المقطع ثلاث مرّات.
أقواس	أفعال	1	(كأنّ أقواس السحاب تشرب الغيوم)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة أنّها جاءت معرفة بالإضافة، وبقرينة إضافتها إلى لفظ "السحاب"، وهو اسم جنس جمعيّ، والإخبار عنها بأنّ الغيوم تشربها، والغيوم جمع كثرة.
أطفال	أفعال	2	(وكرکز الأطفال، كالحبّ كالأطفال كالموتى هو المطر)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة تعريفها بـ (ال) في الموضعين، وبقرينة المكان الذي شهد كركرة هؤلاء، وهو: عرائش الكروم، بما يدلّ عليه من كثرة، في العرائش، وفي الكروم، على حدّ سواء.
أجنّة	أفعلة	2	(حمراء أو صفراء من أجنّة الزهر مرّتين)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة تعريفها بالإضافة، وبقرينة إضافتها إلى اسم الجنس الجمعيّ "الزهر"، وبقرينة معنى الإحاطة والشمول الذي أفادته لفظة "كلّ" في جملة "في كلّ قطرة من المطر"، وبقرينة الاستئناف في قوله بعد ذلك: "وكلّ دمعة من الجياح والعراة" والعطف عليه بقوله: "وكلّ قطرة تراق من دم العبيد".

ويمكن القول باطمئنان إنّ جموع القلّة في القصيدة مستعملة في معنى الكثرة؛ وتنهض قرائن السياق شواهد على ذلك. ومن المعلوم أنّ جمع القلّة قد يقع في موقع جمع الكثرة؛ قال الصّبّان في حاشيته: "إذا قرّن جمعُ القلّة بأل التي للاستغراق، أو أضيف إلى ما يدلّ على الكثرة، انصرف بذلك إلى الكثرة" (الصّبّان، د.ت). وعقد صاحب البرهان باباً في كتابه بعنوان: "وضع جمع القلّة موضع الكثرة" قال في فاتحته: "لأنّ الجموع يقع بعضها موقع بعض، لاشتراكها في مطلق الجمعيّة" (الزركشي، 1998). وقد أشار ابن عقيل في شرحه ألفيّة ابن مالك إلى أنّ جمع القلّة وجمع الكثرة يُستعمل كلّ منهما في موضع الآخر مجازاً" (ابن عقيل، د.ت). وقال صاحب كتاب "التعريفات" بعد أن بيّن معنى جمع القلّة وجمع الكثرة: "ويُستعار كلّ منهما للآخر، كقوله تعالى: "ثلاثة قروء" (سورة البقرة: 228) في موضع أقراء" (الجرجاني، 2000). وقال السامرائي: "وقد يُستغنى بجمع عن جمع، فيُستعمل جمع القلّة للقلّة والكثرة وبالعكس" (السامرائي، 1981). ويتّضح لنا، بناءً على ما سبق من أقوال في هذا السياق، أنّ جموع القلّة في القصيدة دالة على الكثرة، وهو ما يؤكّد الفكرة التي بُني عليها البحث.

ثالثاً: اسم الجمع:

وثمة بناء واحد لاسم الجمع في قصيدة "أنشودة المطر" يبيّنه الجدول الآتي:

اسم الجمع	بنيته	تكراره	سياقه	دلالاته
بَشَر	فَعْل	1	(رحى تدور في الحقول حولها بَشَر)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرائن لفظية عديدة، وردت في سياق هذه العبارة، وهي: الفعل "ينثر"، والجموع "الغلال"، "الغريان"، "الجراد"، "الحقول" بالإضافة إلى ما يحمله لفظ "موسم الحصاد" من معاني الخير والبركة.

رابعاً: اسم الجنس الجمعي:

بلغت ألفاظ اسم الجنس الجمعي في القصيدة سبعة ألفاظ، جاء بعضها مكرراً، بحيث شكّلت في مجموعها أربعة عشر لفظاً، وبيان ذلك في الجدول الآتي:

اسم الجنس الجمعي	بنيته	تكراره	سياقه	دلالاته
شَجَر	فَعْل	1	(ودغدغت صمت العصافير على الشَّجر)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة لفظة "العصافير" الدالة هي الأخرى على الكثرة، وبين لفظي "العصافير" و"الشَّجر" علاقة الحال بالمحلّ.
زَهْر	فَعْل	2	(حمراء أو صفراء من أجنة الزَّهر) مرتين	دلّت البنية في كلا الموضعين على الكثرة؛ بقرينة إضافة الجمع "أجنة" إليها، وبقرينة معنى الإحاطة والشمول الذي أفادته "كلّ" في جملة "في كلّ قطرة من المطر"، وبقرينة الاستئناف في قوله بعد ذلك: "وكلّ دمة من الجياح والعراة" والعطف عليه بقوله: "وكلّ قطرة تراق من دم العبيد".
مَحَار	فَعَال	6	(سواحل العراق بالنجوم والمَحار)، (يا واهب اللؤلؤ والمَحار) مرتين، (يا واهب المَحار والزّدي) مرتين، (رغوه الأجاج والمَحار).	دلّت البنية في جميع المواضع على الكثرة؛ بقرينة تعدّد الجمع في سياق الجملة الشعرية الأولى: "أمواج، البروق، سواحل، النجوم" ووقوعها معطوفة على الجمع "النجوم"، وبقرينة لفظتي "الخليج، واهب" في الجملتين الشعريتين الثانية والثالثة، ووقوعها معطوفة على الجمع "اللؤلؤ" في الجملة الشعرية الثانية، وبقرينة تعدّد صيغ الجمع في الجملة الشعرية الرابعة: "هباته، الكثار، الرمال، رغوه" وبقرينة الفعل "ينثر"، ووقوع بنية اسم الجنس الجمعي هذه معطوفة على اسم الجنس الإفرادي "رغوه".
جَراد	فَعَال	1	(لتنشيع الغريان والجراد)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة عقلية هي أنّ الجراد، في الموروث الإنساني، مقترن بمعنى الكثرة؛ إذ يصل السرب الواحد منه إلى عشرات الملايين. على أنّ الشاعر استعمل هذا اللفظ استعمالاً مجازياً؛ فهو يرمز به إلى من يتحكمون بخيرات العراق، ويأكلونها ولا يبقون لغيرهم شيئاً؛ فهم في نههم وطمعهم وجشعهم كالجراد؛ رمز التدمير والهلاك والشرّاهة. وبقرائن لفظية عديدة، أولها وقوعها معطوفة على الجمع "الغريان"، والغريان طيور تعيش في جماعات، وثانيها الألفاظ التي تضمنتها الجملة الشعرية السابقة: "وينثر الغلال فيه موسم الحصاد"، وثالثها الفعل "تنشيع" بدلالاته على الامتلاء من الطعام.

سحاب	فَعَال	1	(كَأَنَّ أَقْوَاسَ السَّحَابِ تشرب الغيوم)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة وقوعها مضافة إلى الجمع "أقواس" وبقرينة الإخبار عنهما بعبارة "تشرب الغيوم" وفي هذه الجملة تصوير لأقواس السحاب في صورة الأدميين؛ فهو يجعل أقواس السحاب تشرب الغيوم، التي تتحوّل إلى قطرات ماء تنوب رويداً رويداً في ذلك المطر النازل من السماء.
ضباب	فَعَال	1	(وتغرقان في ضباب من أسى شفيف)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة تصوير العينين الآسيتين المغلفتين بعالم من الحزن بالإنسان الغريق؛ فالعينان تغرقان في بحر من الأسى والحزن، وهذا الإنسان يصارع أمواج البحر العاتية. على أنّ هذا الأسى الذي يغلف العينين ليس محضاً؛ فقد وصفه الشاعر بأنّه شفيف، والشفيف هو الذي لا يحجب ما وراءه، والمعنى أنّ الأسى هنا لا ينطوي على يأس، بل ينطوي على توتّب للتغيير.
لؤلؤ	فُعْلُ	2	(يا واهب اللؤلؤ والمحار) مرّتين	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينة لفظتي "الخليج، واهب"، ووقوع الجمع "المحار" معطوفاً عليها.

خامساً: اسم الجنس الإفرادي:

ويبلغ عدد أبنية اسم الجنس الإفرادي في الأنشودة ثلاثة وأربعين بناءً، كما يظهر في الجدول الآتي:

اسم الجنس الإفرادي	بنيته	تكراره	سياقه	دلّالته
رَمال	فَعَال	1	(على الرّمال رغوّه)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرائن لفظية عديدة، تمثلها ألفاظ الجملة الشعريّة: "وينثر الخليج من هباته الكثار" وألفاظ: "رغوّه" و"المحار" و"ما" في قوله: "وما تبقي من عظام بئس غريق...". وبقرينة عقلية هي أنّ الرّمال ذرات دقيقة لا تعدّ ولا تحصى، وتحتلّ في العادة مساحات جغرافية شاسعة.
دم	فَع	4	(بلا انتهاء - كالدم المراق)، (فيسحبُ الليلُ عليها من دمٍ دثار)، (وكلّ قطرة تراق من دم العبيد) مرّتين	دلّت البنية في جميع المواضع على الكثرة؛ بقرائن لفظية عدّة في الموضع الأول، يمثلها قوله: "بلا انتهاء"، والنعت: "المراق"، والعطف عليها بألفاظ: "الجياح، الحبّ، الأطفال، الموتى"، وكون المشبّه في الجملة هو: "المطر". وبقرينة لفظية في الموضع الثاني، تمثلها لفظة "الليل"، وقرائن لفظية في الموضع الثالث، تمثلها ألفاظ: "كلّ قطرة"، و"تراق"، و"العبيد".
تراب	فُعَال	1	(تسفّ من ترابها)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرينتين لفظيتين: الأولى يمثلها الفعل "تسفّ"، والثانية العطف على هذه الجملة الشعريّة بجملة "وتشرب المطر".
رُغو	فُعْل	1	(على الرمال رُغوّه الأجاج)	دلّت البنية على الكثرة؛ بقرائن لفظية عديدة تمثلها الألفاظ الواردة في قوله: "وينثر الخليج من هباته الكثار على الرّمال"، ولفظ "المحار" الذي جاء معطوفاً على "رغوّه"، وبقرينة عقلية مؤدّاها أنّ الفقاعات الناتجة عن حركة المدّ والجزر، والتي عبر عنها الشاعر بلفظ "رغوّه"، لا تعدّ ولا تحصى.

ثرى	فَعَلَ	1	(وكلَّ عام حين يُعشب الثرى نجوع)	دلَّت البنية على الكثرة؛ بقرينة عقلية مؤداها أنَّ العراق بلد زراعيّ، والمساحات الصالحة للزراعة فيه شاسعة، وترتبته ندية؛ لوجود موردين مائيين عظيمين: دجلة والفرات؛ فلا غربة إذن في أن تعشب أرض العراق كلَّ عام. لكنَّ الغربة هي أنَّ نتيجة الاعيشاب الجوع! وهذه مفارقة قصد الشاعر إبرازها، وقد عمَّقها في الجملة الشعرية التالية: "ما مرَّ عامٌ والعراق ليس فيه جوع!"
مَطر	فَعَلَ	35	(وقطرةً قطرةً تذوب في المطر)، (ودغدغت صمت العصافير على الشجر أنشودة المطر)، (تسفَّ من ترابها وتشرب المطر)، (أتعلمين أيَّ حزن يبعث المطر؟)، (بلا انتهاء كالدَّم المراق كالجياح كالحبِّ كالأطفال كالموتى هو المطر)، (ومقلتاكِ بي تُطيفان مع المطر)، (أكاد أسمع النَّخيل يشرب المطر)، (ثمَّ اعتلنا خوف أن نُلام بالمطر)، (في كلِّ قطرة من المطر) مرتين، (سيعشب العراق بالمطر)، (ويهطل المطر) مرتين، (اللازمة الإيقاعية "مطر" التي كررها الشاعر ثنتين وعشرين مرة).	دلَّت البنية في جميع المواضع على الكثرة؛ بقرينة عقلية، وقرائن لفظية عديدة؛ فالمطر ظاهرة طبيعية ترتبط بها حياة المخلوقات؛ وهي في الموروث الإنسانيّ مقترنة بمعنى الغزارة، وقد وظَّف الشاعر "المطر" في قصيدته توظيفاً غنياً، فاستخدم لفظ "المطر" في عدد من المواضع استخداماً حقيقياً، منها، على سبيل المثال لا الحصر، قوله: "قطرةً قطرةً تذوب في المطر" كما استخدمه استخداماً مجازياً في مواضع أخرى في القصيدة، ومنها قوله: "ويهطل المطر"؛ إذ يرمز بهذا التعبير إلى بدء الثورة، مثلما أنه استخدم "المطر" للدلالة على الشيء ونقيضه؛ فالمطر في القصيدة رمز الحزن، كما يبدو في قول الشاعر: "أتعلمين أيَّ حزن يبعث المطر؟"، وهو في الوقت نفسه رمز الأمل، كما يظهر في قوله: "في كلِّ قطرة من المطر... حمراء أو صفراء من أجنة الزهر". وقد جمع هاتين الدالتين المتضادتين في قوله: "بلا انتهاء كالدَّم المراق كالجياح كالحبِّ كالأطفال كالموتى هو المطر". وأما استخدامه للفظ المطر بوصفه لازمة إيقاعية، تتكرَّر، في الغالب، في نهاية كلِّ مقطع، فهو من وجهة أسلوبية يوحد القصيدة، ويربط بين أجزائها، كما إنه يضيف على القصيدة طابع طقوس الاستسقاء.

سادساً: ضمائر الجمع:

استخدم الشاعر ضمير جماعة المتكلمين (نا) في عدد من المواضع، كما استخدم نون المضارعة في موضعين، وواو الجماعة في موضعين أيضاً، وبيان ذلك في الجدول الآتي:

الضمير	نوعه	تكراره	سياقه	دلالاته
(نا)	ضمير جماعة المتكلمين	3	(وكم نرفنا ليلة الرّحيل من دموع)، (ثمَّ اعتلنا خوف أن نُلام بالمطر)، (ومنذ أن كُنّا صغاراً كانت السماء تغيم في الشتاء ويهطل المطر)	دلّ الضمير في الجمل الشعرية الثلاث على معنى الكثرة؛ فهو في الجملة الأولى يعبر عن معاناة عدد كبير من أبناء العراق الذين اضطروا إلى الرّحيل عن وطنهم، بسبب ما يقاسونه من قهر وظلم وجوع، وفي الجملة الثانية عن عدم تجرؤ هؤلاء في الإعلان عن حقيقة بكائهم؛ خوفاً من المتسلطين، وادّعوا أن الدّموع التي تبسو على وجوههم هي من آثار المطر الذي يهطل بغزارة، وفي الجملة الثالثة عن

				حالة التشابه بين الأمس واليوم في فصل الشتاء؛ فالمطر كان ينزل بغزارة عندما كان الشاعر يلعب مع أقرانه، ويفرح معهم بهطوله وانهماره، وها هي تلك الظاهرة الطبيعية تتكرر اليوم، ويعمّ المطر أرجاء العراق. والنتيجة واحدة: "وكلّ عام حين يُعشب الثرى نجوع... ما مرّ عام والعراق ليس فيه جوع!"
(النون)	نون المضارعة الدالة على جماعة المتكلمين	2	(ثمّ اعتلنا خوف أن نلام بالمطر)، (وكلّ عام حين يُعشب الثرى نجوع)	دلّ الضمير في كلتا الجملتين على معنى الكثرة؛ فهو في الجملة الأولى يعكس هواجس الخوف من اللوم لدى المهاجرين من العراق، وهم كثر! وفي الجملة الثانية يعكس حالة الجوع التي عاشها أبناء العراق على مدى سنين طويلة، في الوقت الذي عمّت فيه أمطار الخير أرض العراق في هذه السنين؛ وهذه مفارقة!
(الواو)	واو الجماعة	2	(قالوا له: بعد غد تعود)، (يصارعون بالمجاديف وبالقلوع)	دلّ الضمير في كلتا الجملتين على معنى الكثرة؛ فالذين كانوا يُسرون عن الشاعر بعد فقدّه أمّه ويؤملونه بعودتها كثر، وكذا المهاجرون من أرض العراق بحراً، هروباً من الظلم والقهر والجوع.

تكشف الجداول السابقة، التي عالجتها فيها صبيغ الجمع في القصيدة معالجة وصفية تحليلية، عن مجموعة من الحقائق/ النتائج، يمكن إجمالها في ما يأتي:

أولاً: كثرت الجموع في القصيدة كثرة ظاهرة، وتعددت صيغها، وتنوّعت مبانيتها، بحيث شكّلت، في مجموعها، ظاهرة تسترعي الانتباه. وأكثرها دوراً في القصيدة جمع الكثرة؛ إذ استخدمه الشاعر خمساً وأربعين مرة، ضمن اثني عشر وزناً، هي: (فعل، فُعلة، فَعْلَى، فِعال، فُعلول، فُعْلان، فَواعِل، فُعائل، مفاعيل، فعائل، فَعْلِيل، فُعِل، فُعال). ويأتي جمع الكثرة اسم الجنس الإفرادي، وذكر ثلاثاً وأربعين مرة، احتلّ لفظ "المطر" نصيباً وافراً منها، وتكرّر خمساً وثلاثين مرة، ويأتي اسم الجنس الجمعي تالياً، واستخدمه الشاعر أربع عشرة مرة، وأكثر ألفاظه وروداً في القصيدة هو لفظ "المحار" الذي ورد في ستّة مواضع. ويأتي بعده جمع القلّة، وذكر في ثمانية مواضع، أوردتها الشاعر ضمن وزنين هما: أفعال، وأفعلة. ويليه جمع المذكر السالم، الذي أوردته الشاعر ثلاث مرّات، من الفعلين الرباعيين: أنشدَ، وهاجرَ (مكرّراً)، وأخيراً وليس آخراً: جمع المؤنث السالم، واسم الجمع؛ إذ استعمل الشاعر كلّاً منهما في موضع واحد؛ فالأول لفظ "هباته"، والثاني لفظ "بشر". ولعلّ غلبة جموع الكثرة على سائر صيغ الجمع في القصيدة تؤكد الفكرة التي قام عليها البحث، وتعزّز مقولة أنّ ما يحسّ به الشاعر لا بدّ أن يظهر في فلتات لسانه.

ثانياً: نجح الشاعر في استثمار قيمة التعبير بصيغ الجمع في تصوير حجم الظلم والقهر والألم الذي يزرع تحته أبناء العراق. كما استثمار الشاعر، أحسن استثمار، هذه القيمة في إنكاء عاطفة الأمل والتفاؤل والاستبشار بمستقبل العراق. وضمن هاتين الدائرتين: (الظلم والقهر والألم)، و(الأمل والتفاؤل والاستبشار) تدور مقاطع القصيدة وجمالها الشعرية؛ فتمّة عدد من المقاطع تغذّي الدائرة الأولى، أذكر منها، على سبيل المثال قول الشاعر: (أكاد أسمع النخيل يشرب المطر... وأسمع القرى تننّ والمهاجرين... يصارعون بالمجاديف وبالقلوع... عواصف الخليج والرعود منشدين: مطر... مطر... وفي العراق جوع... وينثر الغلال فيه موسم الحصاد... لتشبع الغريان والجراد... وتطحن الشوان والحجر... رعى تنور في الحقول حولها بشر... مطر... مطر... مطر... مطر). وفي المقابل تمّة مقاطع تغذّي الدائرة الثانية، أذكر منها؛ للتمثيل، المقطع الذي يقول فيه الشاعر: (في كلّ قطرة من المطر... حمراء أو صفراء من أجنة الزهر... وكلّ دمة من الجياح والعراة... وكلّ قطرة تراق من دم العبيد... فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد... أو حلّة توردت على فم الوليد... في عالم الغد الفتيّ واهب الحياة) وكرره مرتين، ذيل الأول منهما بعبارة: "سُيعشب العراق بالمطر"، وفيها استشراق لمستقبل العراق، وعنوانه الخصب والخضرة والخير العميم، والثاني بعبارة: "ويهطل المطر"، وفيها إيذان ببداية الثورة، وتغيّر الأحوال نحو الأفضل.

ثالثاً: وفق الشاعر في انتقاء الجموع التي يعول عليها لتحقيق رؤيته الشعرية، واستخدام بعضها استخداماً حقيقياً مباشراً، وبعضها

الآخر استخداماً مجازياً؛ فلفظ "الدموع" على سبيل المثال، استخدمه الشاعر في موضعين: الأول قوله: "تتأهب المساء، والغيوم ما تزال... تسح ما تسح من دموعها النّقال"؛ وليس يخفى أنّ دلالة الدموع هنا مجازية؛ لأنّ الغيوم ليس لها دموع، فتكون دلالتها، والحالة هذه، المطر الغزير الذي يهطل حاملاً تباشير الخير، ويحمل، في الوقت نفسه، الألم والمعاناة. والثاني قوله: "وكم ذرفنا ليلة الرّحيل من دموع" والدموع هنا حقيقة تدلّ على الحزن والألم بسبب الرّحيل عن الوطن، وفراق الأهل والأحباب. كما استخدم الشاعر لفظ "دمعة" مفرداً في موضعين، وبالعبارة نفسها: "وكلّ دمعة من الجياح والعراة"؛ وجاء استخدامه لها في كلا الموضعين استخداماً حقيقياً. وأظنّ أنّ استخدام الشاعر صيغ الجمع استخداماً مجازياً قد ألقى فيها دلالات الكثرة والمبالغة، ومنحها توهجاً وانتشاراً في الدلالة.

رابعاً: أكثر الشاعر من صيغ الجمع لتعميق قيمة الرّمز في القصيدة؛ فالرّعود والرّوق، هما في الأصل، ظاهرتان طبيعيتان مرتبطتان بهطول المطر، لكن الشاعر يرمز بهما إلى قوى الثّورة. والرياح ظاهرة طبيعية يرمز بها الشاعر إلى الثّورة. والغربان والجراد يرمز بهما، على التوالي، إلى الشّوم، وإلى النّهم والشّراهة والتّدمير. والعبيد يرمز بهم إلى المستعبدين من أبناء العراق، الذين تُراق دماؤهم ظلماً وجوراً. ولا شكّ في أنّ دلالة كلّ من هذه الرموز التي بيّنتها، في جداول الإطار التطبيقيّ؛ تكشف بوضوح العلاقة بين الجموع والرمز؛ ففوق الثّورة المؤمّلة هائلة، والظالمون والطّغاة الذين يهبون خيرات العراق كثر، والفقراء والمستضعفون والمستعبدون بالآلاف، ولكن الشاعر لا يصحّح بمدلولات هذه الرموز تصريحاً؛ وبذلك تتجسّد صيغ الجمع في تعميق قيمة الرّمز في "الأنشودة".

خامساً: تعكس بعض الجموع في القصيدة مدى ارتباط الشاعر بالوطن، أو البيئة التي يعيش فيها؛ من ذلك: (النّخيل، المطر، السّهول، الجبال، المياه، الشّباك، المجاديف، القلوع، العرائش، الكروم). ومما يؤكّد ارتباط الشاعر بوطنه وبيئته أمور عدّة، أهمّها أمران: الأول تكرار هذه الجموع في عدد من قصائده؛ فقصيدة (أفداح وأحلام) (السّيّاب، د.ت)، على سبيل المثال، ورد فيها لفظ "النّخيل" مرّتين، ولفظ "الحقول" مرّتين أيضاً، وورد فيها لفظ "المياه" مرّة واحدة، ولفظ "القلوع" مرّة واحدة أيضاً. وقصيدة (أغنية بنات الجنّ) (السّيّاب، د.ت) ورد فيها لفظ "المطر" مرّتين، ومثلهما لفظ "الشّجر"، وورد فيها لفظ كلّ من: "التّلال"، و"المحار" مرّة واحدة. والثاني عنوان بعض قصائده بأسماء أمكنة بينه وبينها ارتباط وثيق، مثل "جيكور" مسقط رأسه؛ ومن هذه القصائد: قصيدة "أفباء جيكور" (السّيّاب، د.ت)، وقصيدة "مرثية جيكور" (السّيّاب، د.ت)، وقصيدة "العودة لجيكور" (السّيّاب، د.ت)، وقصيدة "غريب على الخليج" (السّيّاب، د.ت).

سادساً: الجموع في القصيدة، على اختلافها وتنوّعها، وتعدّد صيغها ومبانيها، تدلّ على الكثرة؛ وهي تعكس في مجموعها أبعاداً نفسية، كانت قد استقرّت في وعي الشاعر، أو لآوعيه، فجاء توظيفه لها دالاً ومعبراً، ووافياً بالعرض، ومناسباً للمقام؛ سواء في تعبيره عن معاني الحزن والألم والمعاناة، التي برزح تحتها أبناء العراق، وتصويره لما يعمّ وطنه من ظلم وقهر واستبداد، أو في تلميحته إلى الوطن المثالي الذي سينعم فيه الجميع بالأمن والسّعادة، وتسوده قيم العدل والحرية والمساواة والعيش الكريم. فالبحث في الخصوصية الدلالية لكلّ صيغة من تلك الصّيغ هو ما يميّز به المستوى الفنّي الكلامي لدلالة الصّيغة، ولكي ندرك الخصوصية الدلالية لكلّ صيغة لا بدّ لنا من مراجعة سياقها الذي وردت فيه (هنداوي، 2001).

وحثّى الجموع التي تستعمل أوزانها لمعنى القلّة، لا يمنع كونها من صيغ جموع القلّة أنّ الشاعر وضعها للدلالة على الكثرة، كما ذكرت سابقاً، لا سيّما حين جاء ببعضها معرّفاً بـ (ال)، أحياناً أضاف بعضها إلى ما يدلّ على الكثرة من ناحية، نحو: "كأنّ أفواس السّحاب تشرب الغيوم"، "في كلّ قطرة من المطر... حمراء أو صفراء من أجنة الزّهر"، أو حين عقد بينها علاقات تشبيه من ناحية ثانية، كما في قوله: "وترقص الأضواء كالأقمار في نهر"، وقوله: "بلا انتهاء كالدم المُرّ كالجياح كالحبّ كالأطفال كالموتى هو المطر". وجاء في تحقيق إميل بديع يعقوب لكتاب شرح المفصل للرّمخشري، الذي ألفه ابن يعيش في الهامش الأوّل من الصفحة الرابعة والعشرين بعد المائتين من الجزء الثالث ما نصّه: "أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة أنّ التّفريق في الدلالة العددية بين جمع القلّة وجمع الكثرة هو تفرّيق مصطنع، ورأي مجمع اللغة العربيّة في القاهرة أنّ الجمع أيّاً كان نوعه (جمع تكسير أو جمع تصحيح) يدلّ على القليل والكثير، وإنّما يتعيّن ذلك بالقرينة" (ابن يعيش، 2001).

سابعاً: للإكثار من صبيغ الجمع في القصيدة فائدة جليظة تتمثل في المبالغة والتكثير⁽⁶⁾. وقد بيّنت سابقاً أنّ الشاعر تنتازعه هنا حالتان شعوريتان متناقضتان: حالة الإحساس بالظلم والقهر والحرمان، التي يقاسي آلامها وأحزانها هو وأبناء وطنه، وحالة الإحساس بالأمل والتفاؤل والاستبشار بمستقبل مشرق له ولأبناء العراق. فليس عجباً، والحالة هذه، أن يشدّ خياله ليستمدّ من صبيغ الجمع ما يساعده في إضفاء هالة من العظمة قد تبدو مبالغاً فيها.

ثامناً: أبدع الشاعر في استثمار التعبير بصيغ الجمع ليمزج، في وصف معاناته، بين الهمّ الفرديّ والهمّ الجماعي، ونجح في جعل همّه الشخصي يتلشى في الهمّ العامّ؛ فالمقطع الذي باح فيه الشاعر بهمه الخاصّ ومعاناته الذاتية، بسبب موت أمّه، يتضمّن عدداً من صبيغ الجمع ومبانيه، وقد وظّفها الشاعر في تصويره واقع العراق ومعاناة أبنائه، مثل لفظ "الدموع" الذي وظّفه الشاعر في تصوير معاناته الخاصة بفقد أمّه: "تتأعب المساء والغيوم ما تزال... تسحّ ما تسحّ من دموعها النّقال... كأنّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينام... بأنّ أمّه التي أفاق منذ عام... فلم يجدها، ثمّ حين لجّ في السّؤال... قالوا له: بعد غدٍ تعود"، ووظّفه، في الوقت نفسه، في تصوير حاله وحال المهاجرين من أبناء العراق ليلة رحيلهم عن وطنهم؛ خشية المتسلّطين: "وكم ذرفنا ليلة الرّحيل من دموع... ثمّ اعتلّنا خوف أن نلأم بالمطر".

تاسعاً: اشتملت القصيدة على صبيغ الاسم الثلاثة من حيث العدد، فالألفاظ المفردة وردت في مائة وأربعين موضعاً، والألفاظ المثناة في سبعة مواضع، وألفاظ الجمع، على اختلاف صورها ومبانيها، وردت في مائة وأربعة عشر موضعاً، يضاف إليها ضمائر الجمع التي ذكرها الشاعر في سبعة مواضع؛ فإذا علمنا أنّ التثنية والجمع "طارئان على الأفراد، و- أنّ الأفراد - هو الأصل" (ابن القيم، د.ت) أدركنا أهميّة البحث وقيّمته وجدواه، وأنّ الجمع في القصيدة ينطوي على ظاهرة أسلوبية جديرة بالاهتمام.

عاشراً: استخدم الشاعر بعض الجموع في القصيدة في التعبير عن معاني متضادة، ودلالات متباينة؛ ومن ذلك لفظ "الغيوم" التي تحمل في قول الشاعر: "كأنّ أقواس السّحاب تشربّ الغيوم... وقطرة فقطرة تنوب في المطر... وكركر الأطفال في عرائش الكروم" دلالات إيجابية تعبّر عن الأمل والتفاؤل والاستبشار بمستقبل مزدهر للعراق وأهله؛ غير أنّ هذا اللفظ نفسه في قول الشاعر: "تتأعب المساء والغيوم ما تزال... تسحّ ما تسحّ من دموعها النّقال... كأنّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينام... بأنّ أمّه التي أفاق منذ عام... فلم يجدها، ثمّ حين لجّ في السّؤال... قالوا له: بعد غدٍ تعود" يحمل دلالات الألم والحزن والحسرة؛ لا سيّما أنّ هذا اللفظ مرتبط هنا بحالة فقد الشاعر لأمّه، ولذا وجدنا أنّ نتاج هذه الغيوم دموع يُقال يُقال! ومن ذلك أيضاً لفظ "المطر" الذي يحمل في بعض المواضع في القصيدة دلالات الخير والنماء والبركة، وفي مواضع أخرى دلالات الألم والحزن والموت. وتبدو الصّور المتقابلة للمطر في أوضح معانيها في قول الشاعر: "بلا انتهاء، كالدم المرق، كالجياغ... كالحبّ، كالأطفال، كالموتى... هو المطر!"

المصادر والمراجع

- الأزهري، خ. (2000)، شرح التصريح على التوضيح، تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، ط 1، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج 2، ص 511.
- الأنباري، ع. (1995)، كتاب أسرار العربيّة، تحقيق: فخر صالح قدّارة، ط 1، بيروت، دار الجيل، ص 64، 76.
- البغداديّ، ع. (1998)، خزنة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: محمّد نبيل طريفي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج 8، ص 107-115.
- ابن ثابت، ح. (1994)، ديوان حسّان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه وقدّم له: عبد علي مهنا، ط 2، بيروت، دار الكتب العلميّة، ص 219.
- الجرجاني، ع. (2000)، معجم التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمّد باسل عيون السّود، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، ص 82.
- الجوزيّة، ابن ق. (د.ت)، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمّد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، المجلّد 1، ص 215.
- جنهويشي، ه. (1995)، الأبنية الصّرفيّة ودلالاتها في شعر عامر بن الطّيفيل، ط 1، دار البشير، عمّان، ص 199.
- ابن الحاجب، ع. (2000)، الكافية في النّحو، شرح: رضيّ الدين الإستراباذي، شرح وتحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط 1، القاهرة، عالم الكتب،

(6) عقد عبد الحميد هنداي في كتابه "الإعجاز الصّرفيّ في القرآن الكريم" باباً بعنوان: (اختيار صيغة الجمع) استهلّه بالقول: "قد يأتي اختيار صيغة الجمع وإيثارها على المفرد لمعنى المبالغة أو التكثير"، وضرب فيه عدداً من الأمثلة على ذلك. انظر: الإعجاز الصّرفيّ في القرآن الكريم - دراسة نظريّة تطبيقية: التوظيف البلاغيّ لصيغة الكلمة، ص 113.

- ج 4، ص 269، ص 231.
- الحريري، ق. (1982)، ملحّة الإعراب، حقّقه: أحمد محمد قاسم، ط 1، مصر، مطبعة عيبر للكتاب والأعمال التجارية، ص 75، 82، 82.
- الحملوي، أ. (د.ت)، شذا العرف في فنّ الصّرف، بيروت، المكتبة الثقافية، ص 93، 99، 111، 111.
- الزّركشي، ب. (1998)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ج 1، ص 71، ج 3، ص 357، 355.
- السّامرائي، ف. (1981)، معاني الأبنية في العربية، ط 1، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ص 130، 133، 135، 135.
- ابن السكيت، ي. (د.ت)، إصلاح المنطق، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط 3، القاهرة، دار المعارف، ص 173، 364.
- السّيّاب، ب. (1971)، ديوان بدر شاكر السّيّاب، بيروت، دار العودة، ص غ غ وما بعدها، ص 5، 652، 186، 403، 420، 317.
- سيبويه، ع. (د.ت)، كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط 1، بيروت، دار الجيل، ج 3، ص 587، 588، 578، 582.
- الصّبّان، م. (د.ت)، حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التّوفيقية، ج 4، ص 168، 171، ج 1، ص 25.
- ابن عقيل، ع. (د.ت)، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد، ج 2، ص 452، 452، 452، 452.
- الغلاييني، م. (1994)، جامع الدّروس العربيّة، ط 30، بيروت، المكتبة العصرية، ج 2، ص 64، 67، 67.
- المنتبّي، أ.ط. (د.ت)، ديوان أبي الطّيب المتنبّي، شرح: عبد الزّحمن البرقوقي، حقّق النّصوص وهذبها وعلّق حواشيها وقدم لها: عمر الدّقاق، بيروت، دار الأرقم، ج 1، ص 118.
- المرزباني، م. (د.ت)، الموشح – مأخذ العلماء على الشعراء في عدّة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ص 70.
- المومني، ق. (1999)، في قراءة النّص، ط 1، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، ص 144.
- هنداوي، ع. (2001)، الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم – دراسة نظريّة تطبيقية: التّوظيف البلاغيّ لصيغة الكلمة، ط 1، بيروت، المكتبة العصرية، ص 247، 113.
- ياغي، ه. (1981)، الشعر الحديث بين النّظريّة والتّطبيق، ط 1، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، ص 37.
- ابن يعيش، م. (2001)، شرح المفصل للزمخشري، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، ط 1، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج 3، ص 224.

البحوث:

- زعيتر، جمال، "أنشودة المطر" واقع وثورة، بحث منشور في مجلّة العرب والفكر العالميّ، العدد الثالث، صيف 1988، ص 133.
- الشرع، علي، قراءة في "أنشودة المطر" للسّيّاب، مجلّة أبحاث اليرموك، المجلد 3، العدد 2، السنة 1985، ص 66 A.

المواقع الإلكترونيّة:

- ارديني، صالح محمد، النّاقذ الرّائي، الشّاعر الرّائي، القصيدة الرّائيّة، جريدة الاتّحاد، الصّحيفة المركزيّة للاتّحاد الوطنيّ الكرديّ، الرابط:
- www.alitihad.com/paper.php?name=News&file=article&sid=98954

Plural Forms in "Unshudat Al-Matar": a Semantic and Structural Study

*Khalid Q. Bani Domi**

ABSTRACT

The poem entitled "Unshudat al_matar" assumes a very important position among cadenced poetry, especially Badr Shakir As-Sayyab's poetry. As a very rich poem among As-Sayyab's eternal and glorious poems, it reflects matchless romantic poetry as it includes a significant subject, unique linguistic structures, pleasant musical meters, extraordinary imagery, and highly sophisticated stylistic features.

The present study sheds light on one of the remarkable stylistic features of "Unshudat al_matar" which includes the multiple plural forms and their morphological structures, consisting of the sound plural structures: both the masculine and the feminine, the broken plural, pluraletantum structures, collective noun structures, and the singular common noun. All of which constitute the poet's overuse of such stylistic features; they reflect psychological dimensions which settled in the (sub) consciousness of the poet denoting impressive, comprehensive, and commensurate means of expression to the context.

This research represents a serious attempt to study the plural forms and their structures in the poem and to investigate the state of the poet who is in two contradictory romantic situations: the state of oppression, subjugation and deprivation which cause pain and grief to him and to his nationals; the state of hope, rejoice and optimism of having a better future whereby everyone enjoys the welfare and the wealth of the nation and its natural resources within a secure environment of justice, equality and freedom. Thus, the plural forms came as a sincere representation of the implications of these two romantic situations and their humanitarian dimensions.

Keywords: Plural Forms, "Unshudat Al-Matar", Structure, Semantic.

* Faculty of Arts, Yarmouk University, Jordan. Received on 6/9/2016 and Accepted for Publication on 11/2/2017.